يهتم بعض الجزائريّين بتربية الخيول، حفاظاً على التراث العربي والإسلامي، وحباً فيها، وإن كانوا يشكون عدم مساندتهم من قبل السلطات

خلال تدريبه أحد الخيول (رياض كرامدي/ فرانس برس)

تربية الخيول

جزائريون متمسكون بإحياء التراث

الجزائر ـ **كمال بوحدة**

يعدّ الخيل مصدراً أساسياً للدخل في بعض الولايات الجزائرية. ويدرّ العمل في مجال تربية الخيول مالاً جيداً، بسبب الاستفادة منها في السياحة وحفلات الزفاف والأفلام والمهرجانات الاستعراضية. ما سبق دفع الكثير من الشباب الجزائري إلى تربية الخيول للعمل أو الحفاظ على الموروث الثقافي العربي.

وفي منطقة سيدي راشد، التابعة لمحافظة تيبازة غرب العاصمة، تقع مزرعة علي بوطاقة التي تضم أكثر من 30 خيلاً من مختلف الأعمار، يقصدها العديد من هواة الفروسية من أجل تعلّم كيفية التعامل مع الخيول في مختلف مراحلها العمرية، والمبادئ الأساسية للاعتناء بها وامتطائها. ويقول بوطاقة: «في البداية، كنت أعمل في الزراعة، وأحضر بعض المهرجانات الخاصة بالفروسية في مختلف المحافظات الجزائرية، وتعلقت بالخيل إلى درجة فكرت في إنشاء مزرعة صغيرة لتربية الخيل. بداية، اشتريت مهرين صغيرين، إلى أن صار لدي اليوم 30 حصانا». يضيف أن البداية كانت صعبة «نظراً لانعدام خبرتي في هذا المجال». فللخيول خصوصيتها، ويجب تعلّم كيفية التعامل معها، بالإضافة إلى صعوبات أخرى، منها غلاء العلف وتأمين اصطبلات تتوفر على المعايير الأساسية. يقول: «إرادتي وعشقي للخيول حالا دون فشلي. في مزرعتي أكثر من 30 حصانا تجذب الكثير من العائلات، خصوصاً في أيام العطل. كما أشارك في المهرجانات المحلية - الفانتازيا (تسمى أيضا الخيالة والبارودية والتبُوريدَة وصحاب البارود، وتطلق على عروض فروسية، وتحاكي هجمات عسكرية تمارس في بلدان المغرب العربي).

وسمح الاستقرار الأمني في البلاد بإعادة إحياء بعض هذه الأنشطة التي كانت قد توقفت لسنوات، بسبب الوضع الأمني الذي عاشته البلاد خلال تسعينيات القرن الماضي. وتأثرت تربية الخيول إلى درجة كبيرة، بسبب النزوح من الريف، واستيلاء مجموعات إرهابية على عدد كبير منها لنقل معداتها ومؤونتها إلى الجبال، حيث كانت تتمركز. وفي الوقت الحالي، ينضوي مربو الخيول والمهتمون بها في كل ولاية في جمعيات للتنسيق وتبادل الخبرات والتجارب وتتبع المهرجانات الخاصة بالخيالة وغيرها من الأنشطة. في ولاية تيبازة، قرب العاصمة الجزائرية، يدير مصطفى قدور بن خيرة جمعية «فرسان المتيجة» (نسبة إلى سهل متيجة)، وهو عضو في الاتحادية الوطنية للفروسية. منذ كان صغيراً، أحب الخيل، وتمكّن من إقناع مجموعة من الشباب بتأسيس فرقة الخيالة وتربية الخيول، من خلال استئجار اصطبل قديم من أجل الاعتناء بخيولهم التي أصبحت، خلال السنوات الأخيرة، رفيقتهم في كل المهرجانات التي يشاركون فيها.

ويؤكد قدور، لـ «العربي الجديد»، أن نضاله في هذا المجال يهدف إلى الحفاظ على هذا الموروث الثقافي، وأهمية الاعتناء بالخيول التي لها رمزية تاريخية، إذ كانت ترافق الصحابة وصانعي التاريخ العربي الاسلامي والمقاومين للاستعمار الفرنسي. يضيف: «على الرغم من أن غالبية أنشطتنا محصورة في المهرجانات الفلكلورية والعروض والاستقبالات البروتوكولية مع الجهات الرسمية، إلا أن حلمنا الذي نسعى إليه هو نشر ثقافة تربية الخيول والاعتناء بها، لا سيما الأنواع والسلالات العربية الأصيلة المهددة بالانقراض». ويقول إن «الاحتفالات التي تنظم في هذا الإطار تهدف أساساً إلى التبادل الثقافي بين المحافظات الجزائرية، وتشجيع السياحة الداخلية. ففي كل مرة، ندعو جمعيات الخيالة من ولايات داخلية إلى منطقتنا لتنشيط الثقافة، وإخراج البلدات الصغيرة من حالة الركود الثقافي والاجتماعي». وفي الفترة الأخيرة، تحوّل اهتمام الكثير من الشباب إلى تربية الخيول، نظراً لكثرة الطلب عليها في عروض الفانتازيا والمهرجانات وسباق الخيول، كجزء من السياحة الداخلية. ويتولى مربو الخيول تأجيرها في الغابات والمنتزهات للأطفال والشباب الذي يود بعضهم أخذ صور تذكارية معها في مقابل مبلغ مادي بسيط، خصوصاً أن كثيرين يصرّون على امتطاء الخيول مع عائلاتهم.

ولا تخلو تربية الخيول في الجزائر من المشاكل. في هذا الإطار، يتحدث قدور عن غلاء مادة الشعير والعلف الرئيسي للأحصنة، إذ يصل سعر القنطار الواحد إلى 40 دولارا. ويتمكن بعض المربين من الحصول على بطاقة من الديوان الجزائري للحبوب والمركز الوطني لتربية الخيول، تساعدهم على تأمين الغذاء للخيول. كما يشير إلى صعوبة الحصول على البنادق لاستخدامها خلال استعراضات فرق الخيالة، إذ يعاقب القانون الجزائري كل من يملك ذخيرة أو بارودا من دون رخصة. ويقول: «رغم أننا نلقب بناس البارود كفرق خيالة تقدم استعراضات يرتدي خلالها الفرسان اللباس التقليدي، إلا أننا نعاني للحصول عليه، ونلجأ في الكثير من الأحيان إلى وسائل غير قانونية من أجل تأمينه، بهدف الحفاظ على هذا التراث. وقد سبق أن عقدنا اجتماعات مع مسؤولين أمنيين لحل هذه المشكلة، إلا أنه لا حلول في الأفق حالياً، ناهيك عن الصعوبات التي نتكبدها لنقل أحصنتنا إلى المحافظات الأخرى، نظراً لضعف الإمكانيات المادية، في ظل انعدام الدعم والإعانات المالية من قبل السلطات».

باختصار

سمح الاستقرار الأمني في البلاد بإعادة إحياء بعض هذه الأنشطة التي كانت قد توقفت لسنوات، بسبب الوضع الأمني الذي عاشته البلاد خلال تسعينيات القرن الماضي. وتأثرت تربية الخيول إلى درجة كبيرة، بسبب النزوح من الريف، واستيلاء مجموعات إرهابية على عدد كبير منها لنقل معداتها ومؤونتها إلى الجبال، حيث كانت تتمركز

■■■

الهدف هو الحفاظ على الموروث الثقافي، وأهمية الاعتناء بالخيول التي لها رمزية تاريخية، إذ كانت ترافق الصحابة وصانعي التاريخ العربي الإسلامي والمقاومين للاستعمار الفرنسي

وأخيراً

أحقاً لا عزاء؟

نجوى بركات

كيف نتعزّى عن ضياع هذا كلّه؟ كيف نواسي ذواتنا ونحن قد أمضينا أيّامَنا حروباً أهليّة وغربةً وخوفًا ومرارات. أجل، وقد بدأ العمرُ يوصد أبوابَه واحدًا تلو الآخر، دافعا إيّانا إلى المخرج الأخير. نستعدّ للرَّحيل، مُدركين أنّ جعبتنا من الزّاد فارغة، وأنْ لا شيء مبهجًا نحمله معنا. لا مرآة، لا عطر، لا وهم، لا ذكرى، لا وجه. فقط طفولات مقضومة، وأرواح منقوصة، وحيوات مرمّدة تمضي هباءً إذ يندثر غبارُها في الهواء. أيها الإخوة، صدِّقوا أنْ لا عَزاء. فما مضى لن يُستعاد، وما تبقّى، ليس أكثر من كِسْرة متعفّنة في عمق دُرج خاوٍ، لا تُغني ولا تزيد. لقد أحببنا بلادًا لم تُحببنا، حملناها ولم تفعل سوى صدّنا وردّنا وإبقائنا عراةً خارجها. لطالما تهافتنا إلى أحضانها باكين مستنجدين، فلم تلتفتْ، وما غسلتنا، وما أطعمتنا، وما أهدتنا لا شجراً، ولا بحرًا، فقط حَجَرًا مُرًّا وبيضًا فاسدًا وقمحًا أسود. لقد انتمينا إلى بلادٍ تقول لنا، يوميًا، إننا لسنا منها وإنها ليست لنا، وإننا، وإنْ عاندنا وتشبّثنا وبقينا، فسوف تُحرق أصابعَنا، ثم تنفضنا عنها، ولن نجد ما نتمسّك به لتفادي السقوط.

أيها الإخوة، تقبّلوا أنْ لا عَزاء، لأن الخديعة باتت هي المَخْدَع، والمرارة هي اللّحاف. لا تنظروا إلى سماء هذي البلاد، فليس فيها رجاء، ولا تخاطبوا أرضَها فهي الهوّة والمصيدة، وهي اللّغم والسُمّ والسكّين. خساراتُنا لا تُحصى. ومع ذلك، ما زلنا نبكيها ونتوق إليها ونأمل بحبّها. قتلاها مرميّون في العراء، جثثُهم المتحلّلة تغطّي السهولَ الواطئة، ونحن مكشوفون أمام غزاة ومرتزقة يشحذون نصالَهم على مرأى منّا. المعدن يلمع تحت أشعّة شمسٍ حارقة، والخيول مبقورة البطون ملقية على جوانبها تلتقط أنفاسَها الأخيرة. والدمُ، يا إلهي، كم هو كثير. الدّمُ سَواقٍ، وأطفالُنا همدوا وقد أضاعوا أطرافَهم الصغيرة. أمّا نساؤنا وعجائزنا فيلملمون فُتاتَنا وبقايانا ليحملوها إلى مدافن يصلّون أن يعثروا عليها في مكان ما.

أيها الإخوة، تذكّروا أنْ لا عَزاء، ولتسقط السماءُ فوق رؤوسنا، لتبتلعْنا الأمواجُ العاتية، ولتنشقّ الأرضُ متفتّتةً تحت أقدامنا. نحن لسنا أبناء الحياة. نحن لسنا أهلا للحياة. نحن لم نُخلق أصلا، وما وُجدنا، وسوف نمضي ولا يكون لعبورنا أيُّ أثر في زمان أو مكان. يا للخديعة، فقّاعاتٌ تعلو مستنقعاتٍ آسِنة لا تزورُها الشمسُ، ضفادعُ تملأ الليلَ نقيقًا، روائحُ تائهة تبحثُ عن أجسامٍ تُنقذها من الزوال، هذا ما نحن عليه. خَلْفَ جدّي لأبي تركةٌ من حكايا ووصايا في أصناف العباد وحبّ البلاد. وخلف أبي لي، تركة أبيه، وأضاف إليها مسبحةً من عقيق، وبروازًا من خشب الأرز،

> أسمعهم يردّدون كأنهم من الجريمة براء: البلاد تحتضر. البلاد تنهار. البلاد تزول... وتسألونني، أحقّا لا عزاء؟

وقبرا في أرضٍ بهيّة مزروعة بالشجر والحشيش. نحن، ماذا سنترك لأولادنا الذين ما أن نلدهم، حتى نعلّمهم قواعدَ النجاة وقوانينَ الهرب إلى البعيد؟ ألسنا أبناء أولئك الأهل الطيّبين، فلمَ ترانا لا ننجب إلا أولادًا من ورقٍ وقماشٍ، يطيرون كيفما طيّرتهم الريح، وإذ نخرج من كوابيسهم، لا نجدهم على مقربة، كأننا ما ولدناهم في البيوت، حيث لم تُبقِ العاصفة على سقوفٍ أو جدران. يأتيني والدي في الحلم، عابسًا وراء سُمرته التي تشبه نحاسَ المغيب. يسألني ماذا أتيتُ ولمَ اجتمعتْ من حولي خيوطُ العناكب، وكيف تركتُها هكذا تلتفّ من حولي حدَّ الاختناق. تسيل دموعي، وأتمنّى لو تمتد يدُه إليّ فتسحبني من محنتي، فأجدني جالسةً فوق فخذيه ألاعب شامتَه الكبيرة التي في زاوية فمه اليسرى. لكنّ أبي ميت، وأنا مدركةٌ أنه إنما يخاطبني من الغياب. أنا لم أفرّط في تركتك، يا أبي، أقول له، هم من اجتمعوا عليّ، وسلبوني عزّتي، وقوّتي، ولم يُبقوا حتى على الحذاء. أسمعهم يردّدون كأنهم من الجريمة براء: البلاد تحتضر. البلاد تنهار. البلاد تزول .. وتسألونني، أحقّا لا عزاء؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**